مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية
ISSN:2716-8131

المجلد الأول العدد الثاني
أكتوبر 2020

رواد مدرسة الحوليات الفرنسية: مارك بلوك وفرناند بروديل أنموذجا

pineers of the French yeer book ; Mark block and Fernand braudel as models

فتيحة حاج بن فطيمة[1]، محمد بوطيبي [2]

[1] ط.د، جامعة يحي فارس المدية ، fatihabenfetima@ gmail.com

[2] د، جامعة يحي فارس المدية ، combt.me@hotmail .

تاريخ الاستلام: 28/08/ 2020 تاريخ القبول: 06/09/ 2020 تاريخ النشر: 05/01/2021

الملخص:

عرف حقل الدرسات التاريخية خلال القرن التاسع عشر تحولات كثيرة، نتيجة لظهور المدارس التاريخية التي اختلفت نظرتها للتاريخ ومناهج البحث فيه، ولعل من بين أهم تلك المدارس تبرز مدرسة الحوليات الفرنسية التي تمكنت من خلال النظريات الجديدة التي أرساها روادها من تغيير النظرة السائدة للتاريخ من قبل ، حيث تطور منهج البحث التاريخي وعرف أبعادا أخرى أكثر شمولية، ولم يكن ذلك التطور ليحدث لولا الجهود التي قام بها بعض المفكرين من أمثال مارك بلوك وفرناند بروديل، و على هذا الأساس جاءت هذه الدراسة تهدف إلى تتبع إسهامات مدرسة الحوليات الفرنسية، وذلك من خلال التركيز على الجهود التي قام بها روادها كمارك بلوك وفرناناند برودال، بحيث سوف نستعرض أهم النظريات التي دعو إليها،كما نستخلص أثرها على تطور منهج البحث التاريخي .

كلمات مفتاحية:مدرسة الحوليات.مارك بلوك،.الكتابة التاريخية،فرناند بروديل ،التاريخ الجديد

Abstract:

. the fielde of historical studies underwent many transformations during the nineteenth century as a result of the emergence of historical school that differed in their view of history and research methods in it. and perhaps among the most important of these schools stands out the French annals school, which , through the new theories established by its pioneers, was able to change the prevailing view of history befor, the method of historical research developed and knew other more comprehensive dimensionsm and that development would not have happened without the effort made by some thinkers such as mark block and fernand braudel and on this basis this study came to trace the contributions of the ferench annals school , by focusing on the efforts made by some thikers such as marck blok and fernand braudel , so that we will review the most important theories that were theories that were called for as we conclude its impact on the method of historical research .

Keywords :yeerbook ;marck bloch historical writing; fernaned braudel ; new history

مقدمة

عرف حقل الدراسات التاريخية خلال العصر الحديث تحولات كثيرة ومهمة، نتجت أساسا عن التطورات التي شهدتها أوروبا في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث كان لحركة النهضة والتنوير التي ميزت أوروبا في هذه الفترة انعكاسات هامة، ساهمت بدرجة كبيرة في تطور مفهوم التاريخ، هذا الأخير الذي تنوعت مجالات وميادين دراسته بشكل لافت نتيجة لظهور المدارس التاريخية التي تنوعت اتجاهاتها، كما اختلفت في نفس الوقت طرق تفسيرها للحدث التاريخي، وفي هذا السياق تعد مدرسة الحوليات الفرنسية من أهم المدارس التاريخية التي بعثت وطورت علم التاريخ وطرق البحث فيه، وذلك من خلال ما أرسته من أسس وقواعد ومناهج جديدة مست مجال الكتابة التاريخية، والحديث عن إسهامات هذه المدرسة لا يتم دون التنويه بجهود روادها أمثال مارك بلوك وفرناند برودال الذين قدموا نظريات جديدة ساهمت في التحول الذي شهدته الدراسات التاريخية التي أصبحت تقوم على أسس ومناهج جديدة تختلف عن ما كان سائدا عند المدارس التاريخية الكلاسيكية ، سواء كان ذلك في المنهج أو من حيث المبادئ الجديدة.

ولدراسة هذا الموضوع لابد أن نطرح الإشكالية التالية : ماهو السياق التاريخي الذي ظهرت فيه مدرسة الحوليات الفرنسية؟ وماهي أهم الأسس والمبادئ التي دعت إليها هذه المدرسة؟ وإلى أي مدى ساهم كل من مارك بلوك وفرناند بروديل في بعث وتطور المعرفة التاريخية ؟.

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة تهدف إلى تقديم لمحة تاريخية حول مدرسة الحوليات الفرنسية وذلك من خلال معرفة السياق التاريخي الذي ظهرت فيه، وأهم الأفكار والنظريات التي دعت إليها، مع التركيز على إبراز جهود روادها خاصة مارك بلوك وفرناند برودال ودورهم في بعث وتطور ميدان الدراسات التاريخية .

ولمعالجة هذا الموضوع والإجابة عن الإشكالية المطروحة سابقا اتبعنا في هذا العرض المنهجية التالية :

1. مدرسة الحوليات الفرنسية ظروف النشأة – المبادئ والأسس :

1.1 ظروف نشأة مدرسة الحوليات الفرنسية.

2.1 مبادئ وأسس مدرسة الحوليات الفرنسية.

2.إسهامات رواد مدرسة الحوليات الفرنسية.

2.1 جهود مارك بلوك.

2.2 جهود فرناند بروديل.

1. مدرسة الحوليات الفرنسية ظروف النشأة – المبادئ والأسس :

1.1 ظروف نشأة مدرسة الحوليات الفرنسية:

يرتبط ظهور مدرسة الحوليات الفرنسية بالتحولات التي شهدتها أوروبا خلال العصر الحديث، وذلك في ظل الأزمة الاقتصادية والمالية التي عرفتها بعد الحرب العالمية الأولى[1] ، حيث أدت هذه الأزمة التي مست بورصة وول ستريت سنة 1929م إلى توجيه اهتمام المؤرخين لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، كمحاولة لفهم وتفسير أسباب الانكماش الاقتصادي وما ينجر عنه من أزمات، وفي هذا السياق برزت العديد من الدراسات التي عنيت واهتمت بالمجال الاقتصادي، ولعل من أهم ما ظهر هو" مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي "[2] التي اعتبرها المؤرخون اللبنة الأولى التي مهدت لظهور مدرسة الحوليات الفرنسية [3]

لقد انبثقت مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" عن مجلة "التركيب التاريخي" التي أنشأها هنري بير في سنة 1900م، فهذه المجلة وفي إطار الانفتاح على مختلف العلوم شكلت محطة أساسية في تبلور المسار الفكري لمدرسة الحوليات، ويظهر ذلك جليا من خلال ضمها للعديد من المفكرين الذين ينتمون لتخصصات مختلفة من أمثال إميل دوركايم و فيدال دي بلانش وفرنسوا سيمان، فضلا على لوسيان فايفر ومارك بلوك، وفي هذا الشأن ينوه فرناند بروديل بالتأثير الكبير لهنري بير ومجلة التركيب على مؤسسي مجلة الحوليات فيذكر " إن هذا الرجل يقصد هنري بير هو إلى حد ما الحوليات قبل نشوءها إليه يجب الرجوع إذا أردنا معرفة كل شيئ" [4].

أسست إذن مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من طرف بلوك ولوسيان فايفر وفرناند بروديل سنة 1929م، وهذه المجلة قد تحولت إلى مشروع مدرسة لها توجه خاص في مجال الكتابة التاريخية، حيث ساهمت أفكار روادها في إعادة وضع تفسير جديد للتاريخ الذي أخذ توجها آخر يختلف عن النظريات التي جاءت بها المدارس التاريخية الأخرى السائدة في تلك الفترة [5].

كان ظهور مدرسة الحوليات خلال القرن العشرين كرد فعل عن أفكار المدرسة الوضعية [6] التي انحصرت نظرتها للحدث التاريخي على دراسة الوثائق المكتوبة فحسب، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان لاهتمام المدرسة الوضعية الكبير بالعامل السياسي في تفسير الحدث التاريخي من بين أهم العوامل التي دفعت برواد مدرسة الحوليات كمارك بلوك ولوسيان فايفر وفرناند بروديل إلى انتقاد هذه النظرة الضيقة للتاريخ من جهة، ومحاولة تغيير الفكرة السائدة من خلال إعادة بعث مفهوم التاريخ ومنهج البحث فيه، فعلى عكس أفكار

المدرسة الوضعية اتخذت الكتابة التاريخية بعد ظهور مدرسة الحوليات أبعادا جديدة، كما شهدت تطورا كبيرا خاصة وأن النَظريات التي ارتكزت عليها هذه المدرسة قد ساهمت في ظهور مفهوم **التاريخ الجديد** الذي تطورت مناهجه وأساليب البحث فيه [7].

إن الحديث عن مدرسة الحوليات الفرنسية ونظرتها الجديدة للتاريخ يلزم الباحث أولا التطرق للظروف والعوامل التي صاحبت تأسيسها و ظهورها، فالمؤكد أن هذه المدرسة قد نشأت في ظل ظروف دولية متأزمة سادت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد ساهمت هذه الظروف بشكل كبير في بروز التوجه الجديد الذي تبنته هذه المدرسة التي ساهمت من خلال أفكار روادها في بعث وتطور علم التاريخ [8]، وعلى العموم يمكن إجمال الظروف التي ظهرت فيها مدرسة الحوليات الفرنسية في مايلي :

أولا: الأزمة العالمية الكبرى التي أصابت الاقتصاد الرأسمالي في أوروبا سنة 1929م، وما انجر عنها من تساؤلات حول أسباب الانكماش الاقتصادي والاجتماعي ، وفي هذا السياق كان لظهور مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي دور في مهم في مناقشة هذه القضايا، وهو ما ولد عناية خاصة واهتماما كبيرا لدى الباحثين بدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي [9]، وهو التوجه الذي سوف يطغى على أفكار مدرسة الحوليات التي وجدت في الأزمة الاقتصادية أرضية مناسبة لتطورها خصوصا وأنها استحضرت زمن يتجاوز كل ما هو سياسي للانفتاح على ما هو اقتصادي واجتماعي [10] .

ثانيا: إلى جانب الأزمة الاقتصادية كانت للحرب العالمية الأولى 1914-1918م وما خلفته من دمار اقتصادي دور فعال في نشوء وتبلور مدرسة الحوليات الفرنسية، خاصة أنه نشأ توجه جديد لدى الكثير من المفكرين بأن العصر الذهبي لأوروبا قد ولى، الشيء الذي جعل هؤلاء المفكرين يولون اهتمامهم لقوى اقتصادية جديدة كاليابان والولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما أدى إلى زوال فكرة المركزية الأوروبية والاهتمام بحضارات جديدة[11].

ثالثا : أدت الأفكار الجديدة التي تبلورت في أوروبا نتيجة للتطور الفكري الذي عرفته إلى إحداث قطيعة مع كل الأفكار السائدة من قبل، وبالتالي بروز توجهات جديدة تتمحور جلها حول رفض كل ما هو سياسي، وقد انعكس ذلك على حقل التاريخ من خلال رفض توجه المدرسة الوضعية التي اهتمت بالعامل السياسي في تفسير الحادثة التاريخية، فعلى عكس هذا التوجه ارتكز اهتمام رواد مدرسة الحوليات على مجالات جديدة ومختلفة هي القضايا الاقتصادية والاجتماعية، ويدل هذا التوجه الذي تبنته هذه المدرسة على رفض الأفكار السائدة في تفسير الحادثة التاريخية وخاصة النظريات التي نادت بها المدرسة الوضعية[12].

رابعا: من العوامل الأخرى التي ساهمت في ظهور مدرسة الحوليات الفرنسية هو ذلك الانفتاح على العلوم الذي ميز القرن العشرين وخاصة التطور الذي شهدته العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع بالأخص،كون موضوعه ينحصر في دراسة المجتمعات، وهذا العلم له علاقة وطيدة بعلم التاريخ خاصة في ظل النظرية التي جاء بها عالم الاجتماع دوركايم [13].

بناء على ما سبق يمكن القول أن مدرسة الحوليات الفرنسية قد ظهرت في ظروف دولية متأزمة،كان من أبرز سماتها الأزمة الاقتصادية التي شكلت الأرضية التي تبلورت من خلالها أفكار هذه المدرسة التي يرجع لها الفضل في التحول الذي شهده حقل الدراسات التاريخية خلال العصر الحديث، وذلك استنادا للنظريات الجديدة التي تبنتها والتي أحدثت ثورة علمية غيرت الكثير من المفاهيم التي تبنتها المدارس التاريخية الأخرى .

2.1 مبادئ وأسس مدرسة الحوليات الفرنسية:

إن الفكرة التي تقوم عليها مدرسة الحوليات الفرنسية هي ترسيخ فكرة التاريخ الجديد، وقد تبلور هذا التوجه من خلال ما نشره روادها من مقالات في مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" التي أحدثت أفكارها قطيعة مع مفهوم التاريخ الكلاسيكي الذي تبنته المدرسة الوضعية[14] ، وقد لاقت أفكار هذه المدرسة رواجا كبيرا كونها تعد من الأبرز المدارس التي أرست قواعد الفكر التاريخي الحديث[15].

وبالعودة إلى المبادئ والأسس التي جاءت بها هذه المدرسة، فإنه يمكن القول بأنها سعت لتقريب علم التاريخ من العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، ولذلك كان الاهتمام كبيرا بدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي [16]، وهذا التوجه الجديد للمدرسة يعارض الأفكار التي تبنتها المدرسة الوضعية، فهي ترفض هيمنة العامل السياسي والعسكري في تفسير الحادثة التاريخية، وتدعو إلى إدراج كافة العلوم و بالأخص الاقتصادية والاجتماعية لما لها من أهمية بالغة في تطور الكتابة التاريخية، وبالتالي فإن هذه النظرة الجديدة للتاريخ قد أحدثت قطيعة مع التاريخ الحدثي الذي يركز بشكل خاص على المدة الزمنية القصيرة والأحداث السياسية و العسكرية[17].

ومن جهة أخرى دعت مدرسة الحوليات الفرنسية إلى عدم إهمال الوثائق الغير مكتوبة، وذلك من خلال الاهتمام بالآثار المادية والقيام بالمقارنات وعدم الاقتصار على التاريخ الفرنسي فحسب[18].

وفي هذا السياق نوه مارك بلوك في كتابه حرفة المؤرخ أن مخزون الوثائق الذي يملكه التاريخ ليس محدودا حيث نوه بضرورة عدم الاعتماد على الوثائق المكتوبة فقط، بل يجب اللجوء إلى مواد أخرى أثرية و فنية ومسكوكاتية [19].

ركزت هذه المدرسة أيضا في مبادئها على ضرورة نقد الأفكار وتمحيصها ورفض كل المناهج المتوارثة وإعادة صياغة نظرة جديدة للتاريخ من خلال إدراج القضايا الاقتصادية والاجتماعية كعامل أساسي في دراسة الحادثة التاريخية، وقد مثل هذا التوجه ثورة على ما ساد من أفكار في أوروبا[20] ، خاصة وأن هذه المدرسة قد قدمت رؤية تاريخية منفتحة على كافة الأفكار والاتجاهات، حيث كان هدفها هو محاولة إعادة تشكيل النظرة التاريخية بما يخدم مشروع الأمة، وهذه المبادئ والأسس الجديدة غيرت ما كان سائدا من الأفكار خاصة تلك التي تتعلق بتفسير الحادثة التاريخية التي كانت تنحصر ضمن العامل السياسي، وهو ما عارضته هذه المدرسة من خلال انتقادها للنظرة الضيقة للتاريخ التي تبنتها المدرسة الوضعية في القرن التاسع عشر[21] .

لقد أحدثت مدرسة الحوليات الفرنسية خلال القرن العشرين ثورة كبيرة في مجال الكتابة التاريخية ،وذلك من خلال ما أرسته من قواعد جديدة في دراسة التاريخ الذي لم يعد يخضع للمناهج التقليدية التي سادت القرن التاسع عشر، وإنما أصبح يخضع لنظريات جديدة أدت إلى توسيع مجال المعرفة التاريخية، وقد تجسدت أفكار هذه المدرسة بجهود بعض روادها كمارك بلوك ولوسيان فايفر وفرناند بروديل، حيث تكمن أهم النظريات التي استحدثها هؤلاء المفكرين والتي أدت تطور منهج البحث التاريخي في :

– التركيز على أهمية الوثائق في تفسير الحادثة التاريخية، وذلك من خلال تمحيصها ونقدها واستخراج معطياتها، والملاحظ أن توجه مدرسة الحوليات يختلف عن توجه المدرسة الوضعية، فهي ترى أن البحث التاريخي لا يقوم على تحليل الوثائق المكتوبة فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى الوثائق الغير مكتوبة ولهذا وجب عل المؤرخين الاستعانة بمصادر أخرى مادية وغير مادية ودراستها ، خاصة ما خلفته الحضارات القديمة(إذ تعد هذه الشواهد مصدرا هاما من مصادر التأريخ المهمة) [22].

– الانفتاح في دراسة التاريخ على كافة العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبالتالي فإن ظهور هذه المدرسة قد أحدثت ثورة جديدة في منهج البحث التاريخي خصوصا وأن التوجه الذي كان سائدا من قبل كانت فيه المعرفة التاريخية تقتصر على ما هو سياسي وعسكري فحسب، والجدير بالذكر أن القضايا الاقتصادية والاجتماعية، قد حضيت بمكانة كبيرة في مشروع مدرسة الحوليات الفرنسية ،وقد برز ذلك بشكل جلي في المقالات التي نشرتها مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"[23].

إن الملاحظ أن مدرسة الحوليات الفرنسية قد عرفت خلال مسارها الطويل تحولات مختلفة، إذ تمكنت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أن تفرض منهجها وأسسها بفضل انفتاحها على كافة التخصصات، حيث أسست لمنهج تاريخي جديد من خلال الارتكاز على مجلتها من جهة والسيطرة على المعاهد التطبيقية الكبرى

و الاعتماد على شبكة العلاقات القوية التي استفاد منها روادها، إضافة إلى نشر المعارف عبر الندوات وتنشيط الأبحاث العلمية الجماعية و تنظيم اللقاءات التي تجمع كافة العلوم الانسانية بمختلف تخصصاتها. الكتابة التاريخية[24] .

وبالنظر للتحولات التي طرأت على تطور مفهوم التاريخ، فإن هذه المدرسة قد عرفت مبادئها انتشارا كبيرا حيث وصلت تأثيراتها للكثير من البلدان التي تبنى المفكرون فيها أفكارها ومبادئها، خصوصا وأن ما جاءت به من نظريات قد أحدث تحولا كبيرا مس مجال ومنهج البحث التاريخي الذي اتسعت أفقه وميادين البحث فيه .[25]

2. إسهامات رواد مدرسة الحوليات الفرنسية

كان للاهتمام الذي أولته مدرسة الحوليات للتاريخ بمفهومه الجديد أن تغيرت النظرة الضيقة للتاريخ التي سادت القرن التاسع عشر، ولم يكن ذلك ليحدث لولا الجهود التي بذلها رواد هذه المدرسة، وسوف نقتصر في هذا العرض على ذكر نموذجين مهمين كان لنشاطهما دور هام في إرساء قواعد مدرسة الحوليات الفرنسية، فأما النموذج الأول فهو مارك بلوك الذي يعد أحد مؤسسي هذه المدرسة التاريخية ، في حين أن النموذج الثاني يتمثل في فرناند بروديل الذي عرفت في عهده المدرسة تحولا كبيرا في الأسس التي تقوم عليها .

2.1 جهود مارك بلوك:

يعد مارك بلوك أحد أهم مؤسسي مدرسة الحوليات الفرنسية في القرن العشرين، فهو من بين المؤرخين الذين ساهموا من خلال أبحاثهم العلمية في إنشاء مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي التي تعتبر اللبنة الأولى التي أدت إلى ظهور وتأسيس مدرسة الحوليات [26]، حيث أدت جهوده كمؤرخ في التاريخ الوسيط إلى إرساء العديد من القواعد التي مثلت االتوجه الجديد للمدرسة، والجدير بالذكر أن أفكار مارك بلوك في مجال الكتابة التاريخية قد كانت متأثرة بأفكار ونظريات المؤرخ البلجيكي هيرين بيرين التي دعا من خلالها لتجديد الفكر التاريخي[27] .

ترتكز الرؤية التاريخية لمارك بلوك في ما نشره من أبحاث علمية في مجلة الحوليات، حيث تدعو أفكاره إلى ضرورة تجديد منهج البحث التاريخي عن طريق الانفتاح على كافة العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتغيير النظرة الضيقة للتاريخ من خلال الإهتمام بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والفكرية واستبعاد الموضوعات السياسية والدبلوماسية والعسكرية [28].

لقد تجسد الخطاب التاريخي لمارك بلوك في كتاباته، حيث أنه ألف كتبا عديدة أوضحت توجهه ومنهجه في مجال الدراسات التاريخية، ولعل من بين أهم الآثار العلمية التي تركها وكان لها الأثر البارز في بعث مدرسة الحوليات نجد كتاب "**المجتمع الإقطاعي**" وكتاب "**السمات الأصلية للمجتمع الفرنسي**"، إضافة إلى سلسلة من المقالات التي نشرت بمجلة الحوليات [29] ، غير أن أهم عمل تركة مارك بلوك والذي أسس لمنهج جديد في حقل الدراسات التاريخية هو كتاب "**مهنة المؤرخ** "الذي نشر بعد وفاته سنة 1944م[30]

لقد أحدثت أفكار مارك بلوك ولوسيان فايفر تغييرات جذرية في مفهوم التاريخ، حيث أن جهودهما أدت إلى نقل مفهوم التاريخ من البحث في الأحداث إلى البحث في البنيات، كما أن المتمعن في الأسس التي قامت عليها مدرسة الحوليات يجد أن مارك بلوك قد قام بتوجيه اهتمام المؤرخين إلى مصادر تاريخية أخرى مادية وغير مادية، وتتمثل هذه المصادر في الآثار كالمسكوكات والصور والنقوش و الفلكلور و الروايات الشفهية [31] ، وتأتي دعوة مارك بلوك لاستخدام مصادر تاريخية أخرى في ظل النقاش الذي كان يدور حول أهمية الوثائق المكتوبة في تفسير الحوادث التاريخية، وهو التوجه الذي تبنته مدرسة المنهجية وعارضته مدرسة الحوليات، فمارك بلوك يرى أنه على المؤرخ عدم الاكتفاء باستخدام الوثائق المكتوبة فحسب ، وإنما يتوجب عليه الاستعانة كذلك بمصادر تاريخية أخرى تمكنه من الوصول للحقيقة التاريخية [32]، ولم تقتصر دعوة مارك بلوك على اكتشاف مصادر تاريخية أخرى فقط، وإنما دعى أيضا إلى ضرورة توسيع مجالات حقل الدراسات التاريخية من خلال الانفتاح على دراسة اتجاهات ومجالات جديدة كالأنثربولوجيا وكل ماله علاقة بالمجتمع [33] .

ومن جهة أخرى يرتكز فكر مارك بلوك أيضا على ضرورة إلمام المؤرخين بكافة العلوم المساعدة لعلم التاريخ كعلم الأثار والجغرافيا والإحصاء والديموغرافيا وغيرها من العلوم، وفي هذا الصدد يركز مارك بلوك على أهمية تكوين الفرق ذات الاختصاصات في دراسة الحادثة التاريخية [34]، وإلى جانب هذا أولى مارك بلوك أهمية قصوى للتاريخ الذي تتمثل قيمته في دراسة الزمن الحاضر بناءا على الزمن الماضي، وكذلك فهم الماضي انطلاقا من الحاضر ،واستنادا لهذه الفكرة فإن التاريخ عند مارك بلوك ما هو إلا حركة دائمة بين الماضي و الحاضر، وهي الفكرة التي قامت عليها مدرسة الحوليات[35].

إن من أهم الأسس التي أرساها مارك بلوك في مجال البحث التاريخي هو انتهاج مبدأ المقارنة[36]، حيث طرحت هذه الفكرة أول مرة في المؤتمر الذي شارك فيه سنة 1928م، حيث أنه دعى من خلالها إلى ضرورة التخلي عن المسائل القومية التي تعيق دراسة التاريخ والاعتماد على الشبكات الجغرافية، وذلك من خلال إجراء

وعقد المقارنات بين المجتمعات الأوروبية [37]، وقد تجسدت أفكار مارك بلوك حول هذا المنهج مؤلفه" **المجتمع الفيودالي**" الذي قام فيه بإجراء مقارنات بين المجتمعات الأوروبية كالمجتمع الفرنسي و الإنجليزي والألماني ، وقد سمح له هذا المنهج بتفسير البنية الاجتماعية لأوروبا[38].

يتضح من خلال سبق ذكره أن جهود مارك بلوك في مجال البحث التاريخي قد كان لها الأثر البارز في تأسيس مدرسة الحوليات الفرنسية ،حيث أنه وبفضل نظرياته الجديدة والمختلفة عن ما كان سائد في أوروبا من أفكار قد أدت إلى ظهور فكر تاريخي جديد مثلته مدرسة الحوليات التي أضحت من أهم المدارس التاريخية التي ساهمت في بعث الكتابة التاريخية وفق أسس ومناهج جديدة، هذه المدرسة التي سوف تعرف تحولا كبيرا خاصة في عهد فرناند بروديل .

2.2 جهود فرناند بروديل

يعد فرناند برودال أحد أهم رواد مدرسة الحوليات الفرنسية، فهو ينتسب إلى الجيل الثاني الذي عرفت في عهده المدرسة رواجا وانتشارا عالميا ، حيث أنه أرسى مفاهيم جديدة في حقل الدراسات التاريخية لم تكن متداولة من قبل، الشيء الذي جعل من مدرسة الحوليات تكتسب مكانة كبيرة بين المدارس التاريخية الأخرى [39].

ففي عهد بروديل عرف التاريخ نقلة نوعية سواء من حيث المنهج المتبع أو من خلال القضايا والمواضيع التي يتم التطرق إليها، إذ تم التخلص من التاريخ الفردي و التاريخ الكرونولوحي والسياسي، في حين انتعش وازدهر التاريخ الكمي الذي تتداخل فيه العلوم المختلفة[40] .

إن الطرح والأفكار التي دعا إليها فرناند بروديل والتي أحدث ثورة في مجال البحث التاريخي تجسدت في مؤلفه الضخم الموسوم "**بالبحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني**"، حيث أن هذا العمل الذي أصدره سنة 1949 م قد غير الكثير من المفاهيم السائدة من قبل وأرسى قواعد جديدة شكلت عاملا أساسيا في التطور البحث التاريخي[41].

إن مشروع فرناند برودال يقوم على ثلاث ركائز أساسية هي دراسة الزمن الطويل ومحاولة إعطاء البعد الجغرافي مكانة جديدة في الدراسات التاريخية، إضافة إلى التأكيد على أهمية العامل الاقتصادي في دراسة التاريخ [42]، فأما بالنسبة لفكرة الزمن والأمد الطويل، فهي تعد من أبرز الركائز التي نادى بها، فهو يرى أن دراسة التاريخ هي دراسة لبنيات جغرافية و اجتماعية واقتصادية، وهذه النظرة الجديدة للتاريخ تتجاوز وتتنافى مع ما كان سائدا من أفكار خاصة فكرة التاريخ الحدثي [43]، واستنادا لهذه النظرية الجديدة فإن فرناند بروديل

يقسم الزمن إلى ثلاث مستويات، وهذه المستويات تبرز بشكل جلي في كتابه "البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني" وهي كالتالي :

أولا: زمن التاريخ الشبه الثابت : يشمل هذا الزمن تاريخ الإنسان والإطار الجغرافي الذي يعيش فيه ، حيث أن هذا الزمن بطيئ التحول ويركز بروادل في دراسة هذا الزمن على أهمية الجغرافيا لما لها من علاقة وثيقة بالإنسان، فدراسة المعطيات الجغرافية كالوسط الطبيعي والمناخ لا غنى عنها في الدراسات التاريخية [44].

ثانيا: الزمن الاجتماعي والاقتصادي أو الزمن الضرفي و الدوري : يتميز هذا الزمن بأنه بطيئ التغير، يعنى أساسا بدراسة التاريخ الاجتماعي من خلال الاهتمام بالمجموعات البشرية فضلا عن دراسة البنية الاقتصادية للدول والمجتمعات[45].

ثالثا: الزمن الحدثي : يهتم هذا النوع من الزمن بدراسة الزمن القصير،فهو يركز على دراسة الأحداث السياسية والعسكرية،كما يولي أهمية قصوى لتاريخ الأفراد والشخصيات[46]، وهذا ما أدرجه فرناند في القسم الثالث من كتابة "البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني" ، فهو يتناول تاريخ الصراع العثماني الإسباني في حوض المتوسط، ويقدم حوصلة حول التنظيمات السياسية والعسكرية للقوى العظمى المتنافسة في القرن السادس عشر [47]، والجدير بالذكر أن رؤية فرناند بروديل للزمن الحدثي والتاريخ التقليدي قد تغيرت، فهو يدعو إلى تجاوز دراسة الأحداث السياسية والعسكرية ويطالب بالبحث في مجالات سياسية جديدة وقضايا أكثر عمقا،كالتركيز على العلاقات بين السلطة والمجتمع إضافة إلى إحداث مقاربات الأنثربولوجية للمؤسسات السياسية، وهذه النظرية الجديدة التي قدمها فرناند بروادل فيما يخص دراسة التاريخ التقليدي تتنافى مع مبادئ المدرسة الوضعية التي تجعل من العامل السياسي والعسكري عنصرا فعالا في دراسة التاريخ ، ففرناند بروادل يلغي ويقلل من أهمية هذه العوامل ويولي أهمية كبرى لمجالات أخرى هي الجغرافيا والاقتصاد والمجتمع [48].

لقد شكلت جهود فرناند برودل في مجال البحث التاريخي دورا مهما في بروز المكانة الكبيرة التي اكتسبتها مدرسة الحوليات في القرن العشرين، حيث أن أطروحته العلمية المتمثلة في كتابه "**البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني** " وكتابه الأخر "**الحضارة المادية**" قد أصبحت أنموذجا للكثير من الباحثين الذين تأثرو بالمفاهيم الجديدة التي أرساها في حقل الدراسات التاريخية ، حيث لم يقتصر هذا تأثير على فرنسا فحسب وإنما كان لذلك التأثير بعد عالمي أكسب مدرسة الحوليات شهرة كبيرة ، ويمكن أن نلحظ تأثير الفكر البروديلي في الكثير من الأطروحات التي أنجزت، إضافة إلى إنشاء العديد من المراكز

البحث التي عنيت بدراسة التاريخ الاقتصادي وهو التوجه الجديد الذي ميز حقل الدراسات التاريخية في القرن العشرين[49]

فجهود فرناند برودال قد ساهمت بدرجة كبيرة في إلى اتساع مجالات البحث التاريخي، فهو لم يقتصر على بعث التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والجغرافي فحسب، وإنما سعى كذلك لتقريب التاريخ من كافة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الأمر الذي أدى إلى تطور مناهج البحث التاريخي حيث أصبحت تشمل كل ما هو اقتصادي واجتماعي وجغرافي ، وقد أدت هذه المفاهيم إلى أحداث ثورة معرفية مناقضة للأفكار السائدة من قبل، والتي كانت تجسد النظرة الضيقة للتاريخ التي تبنتها المدرسة الوضعية[50].

الخاتمة

بناءا على ما سبق يمكن القول أن مدرسة الحوليات الفرنسية تعد من بين أبرز المدارس التاريخية ،نظرا لكونها ساهمت في تغيير النظرة التقليدية للتاريخ التي سادت في القرن التاسع عشر، فالمدرسة جاءت كرد فعل على أفكار المدرسة الوضعية التي كان تفسيرها للتاريخ ينحصر ضمن العوامل السياسية والعسكرية فحسب، وقد كان إنشاء مجلة حوليات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في سنة 1921م بمثابة اللبنة الأولى التي تطور على إثرها مشروع مدرسة الحوليات، خصوصا إذا علمنا أنها وجهت اهتمام الباحثين إلى مجالات أخرى أكثر شمولية، إذ دعت إلى الانفتاح على كافة العلوم الانسانية والاجتماعية، وبالتالي فإن مدرسة الحوليات الفرنسية قد تبنت توجها جديدا في دراسة التاريخ الذي تطورت مناهجه و تعددت مجالاته.

من أهم الأسس التي قامت عليها مدرسة الحوليات هي فكرة التاريخ الجديد، إذ سعت المدرسة إلى تقريب التاريخ من كافة العلوم الانسانية والاجتماعية، حيث أولت أهمية كبرى للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي، كما أنها وسعت مجال البحث في المصادر التاريخية من خلال الاعتماد على الوثائق المكتوبة والاثار المادية الاخرى كالمسكوكات و النقوش غيرها، وهذا ما يخالف المدرسة الوضعية التي جعلت الوثيقة المكتوبة المصدر الوحيد في تفسير الحادثة التاريخية .

عرفت أفكار المدرسة الوضعية رواجا كبيرا بفضل الجهود التي قام بها بعض المفكرين الذين تمكنو من خلال الأسس والنظريات التي دعو إليها من إعادة إحياء التاريخ و تجديد المنهج البحث التاريخي، فمارك بلوك يعد من مؤسسي مدرسة الحوليات، وترتكز نظرياته فيما نشره من أبحاث علمية و مؤلفات ضمت أهم أفكاره،خاصة كتاب "مهنة المؤرخ"، فمن بين ما دعى إليه هو ضرورة نقل مفهوم التاريخ من البحث في

الأحداث إلى البحث في البنيات وذلك عن طريق الانفتاح على كافة العلوم والتخصصات إضافة إلى اكتشاف مصادر تاريخية أخرى وعدم الاستعانة بالوثائق المكتوبة فقط علاوة على استخدام منهج المقارنة.

وإذا كان مارك بلوك قد ساهم بنظرياته في تأسيس مدرسة الحوليات فإن فرناند بروديل يعتبر من الذين أعطوها بعدا عالميا، حيث عرفت في عهده رواجا كبيرا ، وتعد نظرياته حلقة أساسية في مجال البحث التاريخي حيث تبلورت أفكاره في مؤلفه " البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني 1588م، 1598م." والحضارة المادية " فهو يقدم تصورا جديدا للتاريخ الذي يقوم على تعددية الزمن وفكرة الزمن الطويل (بنيات جغرافية واجتماعية واقتصادية)، وهذه النظرية الجديدة تختلف مع فكرة التاريخ الحدثي التي تبنتها المدرسة الوضعية وعلى العموم يمكن القول أن جهود مارك بلوك وفرناند برودال في مجال البحث التاريخي قد أدت إلى تجاوز النظرة الضيقة للتاريخ التي تبنتها المدرسة الوضعية، وتوسيع مجال البحث التاريخي، وذلك بالانفتاح على دراسة ميادين جديدة كالقضايا الاقتصادية والاجتماعية وهو التوجه الذي أحدث تحولا كبيرا في مجال البحث التاريخي الذي تطورت مناهجه وميادينه.

الهوامش

[1] نصيرة مصابحية، الحوليات الفرنسية من تاريخية التوجه إلى تاريخانية التمثل"، مجلة أبو يوليوس، ع9 ، 2018م، ص87.

[2] ظهرت هذه المجلة في 25جانفي 1929م، وأشرف عليها أعضاء متخصصين في مجالات مختلفة كالجغرافيا وعلم الاجتماع والاقتصاد والإثنولوجيا وعلم النفس والفلسفة والسياسة للمزيد أنظر: وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ اتجاهات ،مدارس، مناهج ، ط3، المركز العربي للأبحاث، (الدوحة: 2013م)، ص 206.

[3] نفسه، ص 199.

[4] وليد موحن، مدرسة الحوليات الفرنسية : ظروف النشأة وأهم الأفكار، مجلة ليكسوس، ع11، مارس 2017، ص 171، 172.

[5] محمود عبد الواحد محمود، مؤرخو العصور الأوروبية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ مدرسة الحوليات الفرنسية من منظور عراقي، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 18، ع 10، 2011 ،ص 251، 252.

[6] المدرسة الوضعية: ظهرت هذه المدرسة في القرن التاسع عشر كأحد أبرز المدارس التاريخية تطورا، من أهم مؤسسيها فان رنكة و مونود، أسست هذه المدرسة لنظريات جديدة في مجال الكتابة التاريخية، حيث تنحصر أهم أفكارها في أهمية استخدام الوثائق في مجال الكتابة التاريخية إضافة إلى محاولة بلوغ الموضوعية المطلقة. للمزيد أنظر: فريد بن سليمان، **مدخل لدراسة التاريخ**، مركز النشر الجامعي، (تونس: 2000م)، ص 104.

[7] نفسه، ص 107،108.

[8] فرنسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، ط1، مكتبة الفكر الجديد، (لبنان: 2009م)، ص 35.

[9] وجيه كوثراني المرجع السابق، ص 199.

[10] فرنسوا دوس، المرجع السابق ، ص 36 .

[11] نفسه، ص 39 .

[12] وجيه كوثراني ، المرجع السابق، ص200 .

[13] نفسه، ص 200.

[14] نفسه، ص 206.

[15] نصيرة مصابحية، المرجع السابق، ص 86.

[16] فريد بن سليمان، المرجع السابق، ص 108.

[17] نصيرة مصابحية، المرجع السابق، ص89.

[18] الهادي التيمومي، **المدارس التاريخية الحديثة** ، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع ،(لبنان:2013)، ص 181.

[19] خالد طحطح، الكتابة التاريخية ، ط1، دار توبقال للنشر، (المغرب: 2012م)، ص 87، 88.

[20] نصيرة مصابحية، المرجع السابق، ص 87.

[21] محمود عبد الواحد محمود، المرجع السابق، ص 256.

[22] وجيه كوثراني، المرجع السابق ص 209.

[23] فريد بن سليمان، المرجع السابق، ص108.

[24] خالد طحطح، المرجع السابق، ص 89، 90.

[25] محمود عبد الواحد محمود، المرجع السابق، ص 266.

[26] فريد بن سليمان، المرجع السابق، ص 109.

[27] محمود عبد الواحد محمود، المرجع السابق، ص256، 258.

[28] نفسه، ص 256.

[29] وجيه كوثراني، المرجع السابق ، ص 209.

[30] نفسه، 209.

[31] محمد حبيدة ، **المدارس التاريخية من المنهج إلى التناهج برلين ،السوربون ، استرسبورغ**، دار الأمان، (المغرب: 2018م)، ص 76،77.

[32] فريد ابن سليمان، المرجع السابق، ص 110.

[33] وجيه كوثراني، المرجع السابق، ص 209.

[34] نفسه، ص 210.

[35] نفسه، ص 211

[36] محمد حبيدة ، المرجع السابق، ص 82

[37] محمود عبد الواحد محمود، المرجع السابق، ص256

[38] محمد حبيدة، المرجع السابق، ص 82، 83.

[39] الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 183.

[40] خالد طحطح ، المرجع السابق، ص 91.

[41] محمد حبيدة، مدرسة الحوليات مفاهيم التحليل البروديلي، مجلة أمل التاريخ الثقافة المجتمع،ع3، المغرب، 1993، ص 77

[42] نفسه، ص81، 82.

[43] وجيه كوثراني، المرجع السابق ، ص 213،214.

[44] الهادي التيمومي، المرجع السابق ، ص186.

[45]محمد حبيدة، **مدرسة الحوليات** ... المرجع السابق ، 86، 87.

[46] الهادي التيمومي، المرجع السابق ، ص186.

[47] محمد حبيدة، **المدارس التاريخية** ... ، المرجع السابق ، ص 97، 99.

[48] نفسه ، ص 97، 100.

[49] محمد حبيدة، **المدارس التاريخية** ... ، المرجع السابق ، ص 99، 100.

[50]محمد حبيدة، **مدرسة الحوليات** ...، المرجع السابق ، ص 77.

قائمة المراجع

1.بن سليمان فريد، مدخل لدراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، (تونس: 2000م) .

2.التيمومي الهادي، المدارس التاريخية الحديثة، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، (لبنان: 2013م).

3.حبيدة محمد، المدارس التاريخية من المنهج إلى التناهج برلين السوربون ، استرسبورغ، دار الأمان، (المغرب: 2018م)

4.حبيدة محمد، مدرسة الحوليات مفاهيم التحليل البروديلي"، مجلة أمل التاريخ الثقافة المجتمع، ع3، المغرب، 1993م).

5.دوس فرنسوا، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة :محمد الطاهر المنصوري، ط1، مكتبة الفكر العربي، (لبنان :2009م) .

6.طحطح خالد، الكتابة التاريخية ، ط1، دار توبقال للنشر، (المغرب: 2012م).
7.كوثراني وجيه، تاريخ التأريخ اتجاهات مدارس ، مناهج، ط3، المركز العربي للأبحاث، (الدوحة:2013م).
8.محمود عبد الواحد محمود، مؤرخو العصور الأوروبية الوسطى وتجديد كتابة التاريخ مدرسة الحوليات الفرنسية من منظور عراقي، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 18، ع 10، 2011.
9.مصابحية نصيرة، الحوليات الفرنسية من تاريخية التوجه إلى تاريخانية التمثل، مجلة أبو يوليوس،ع9، 2018م.
10.موحن وليد، مدرسة الحوليات الفرنسية : ظروف النشأة وأهم الأفكار، مجلة ليكسوس، ع11، مارس، 2017.